نظرة عابرة على إنشاء المدارس ومراكز العلوم الإسلامية في بداية الأمر

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله

نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي*

من المعلوم حقًا أن الإسلام كان قد انتشر في مناطق الجزيرة العربية كلها في العهد النبوي، ولاسيما بعد أن فتح المسلمون مكة المكرمة عام ٨هـ دخل في الإسلام القبائل العربية أفواجًا، واشتغلوا بتعلم القرآن الكريم وشرائع الإسلام، وبدأت سلسلة الأخذ والتعلم في كل قبيلة وقرية.

كما بقي تعليم القرآن الكريم مستمرًا على خطورة الأوضاع في مكة المكرمة منذ أن أوحي إليه صلى الله عليه وسلم أول مرة إلى أن فتحها الله على أيديه. مع أنه لم يكن هناك مدرسة مستقلة في هذه المدة، بل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أمور دينهم على كل أحيانه، وكان يقرأ آيات القرآن الكريم على الناس في أيام الحج والمناسبات الأخرى. نعم يمكننا أن نسمي كلا من مسجد أبي بكر الصديق، ودار أرقم بن الأرقم، وبيت فاطمة بنت خطاب، وشعب أبي طالب مدرسة لحدمًا، وبالرغم من ذلك كله تخرج في العصر المكي عديد من القراء والمعلمين الذين قاموا بتعليم القرآن الكريم والذين تفقه عليهم آخرون، فكان منهم خباب بن الأرتّ يعلّم القرآن الكريم في بيت فاطمة بنت خطاب، ومنهم سالم مولى أبي حذيفة يعلم في قباء قبل الهجرة العامة، وكان مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم يعلمان في نقيع الخضمات، بينما كان رافع بن مالك الزرقي يقوم بالتعليم في مسجد بني زُرَيق. وكان هؤلاء كلهم قد تعلموا القرآن في مكة المكرمة، وكان أصحابهم وتلامذتهم يعلمون في

* أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

مساجد المدينة المنورة ويؤمون فيها.

وبعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى المدينة المنورة أنشئت بها أول مدرسة مستقلة مركزية في المسجد النبوي، وكان يعلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، ويساعده على ذلك أبوبكر الصديق، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم أجمعين. على حين كان طلابه يعلمون نساءهم وأطفالهم في بيوتهم إلى أن صارت المدينة المنورة كلها خلال أيام وأسابيع دارًا للعلم، وأصبحت أحياؤها وأزقتها تدوي بها أصوات التعليم والتعلم. وكانت القبائل من كل منطقة تفد إلى المدينة المنورة تأخذ العلم والقرآن، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث قراء الصحابة إلى شتى القبائل، وكان رؤساء القبائل ونقباؤها يعلمون في قبائلهم بعد أن رجعوا إليها من المدينة المنورة، وكانت اليمن وقراها ومدنها تلي مكة المكرمة والمدينة المنورة في نشاطات فعالة للتعلم والتعليم.

وكان أمراء النبي صلى الله عليه وسلم وعماله يعلمون الناس في مناطقهم الكتاب والسنة، والفرائض، والفقه في الدين وشرائع الإسلام. فكان يعلم معاذ بن جبل في مكة المكرمة بعد فتحها، وعثمان بن أبي العاص الثقفي في الطائف، وأبو ذر الأنصاري في عمان، وخالد بن الوليد في نجران، وعلي بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح في اليمن، ومعاذ بن جبل في جند على أمر من النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك الأمراء والعمال الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية كانوا معلمين بها وأئمة لمساجدها، وكانوا مسؤولين عن شؤون المسلمين الدينية كلها، ولم يكن يأتي إسناد المسؤوليات والمناصب هذه إلا لمن كان عالمًا بالقرآن والسنة، مطلعًا على شرائع الإسلام، وفقيهًا في الدين. هذا وكانت الرحلات العلمية مستمرةً، فكانت الوفود تقدم على النبي صلى الله عليه وسلم من مناطق وقبائل نائية. ومن بينها وفد عبد القيس الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إننا قدمنا عليك من بعيد، وتحملنا مصائب، وأن بيننا وبينك قبائل مضر فلن نأتيك إلا في الأشهر الحرم. وكانت عقبة بن الحارث قدم على الرسول صلى الله

عليه وسلم ليسأله عن أمر.

لم تكن الحاجة ماسة في بداية الأمر إلى توفير تسهيلات الطعام والسكن للطلاب، حيث وزع النبي صلى الله عليه وسلم طلابًا مقيمين بدار أرقم بن الأرقم في مكة المكرمة على الأثرياء من أصحابه وأمرهم بإطعام إخوانهم الطلاب الفقراء. وكان دار مسعد بن خيثمة سكنًا للعزاب والطلاب في قباء. على حين كان أصحاب الصفة يقيمون بالمسجد النبوي، وكان الوفود والطلاب من خارج المدينة يبيتون في دار رملة بنت حارث في أغلب الأحوال. وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يكفل بمساعدته من بعض الأنصار لأصحاب الصفة طعامهم وشرابهم. كما كان هناك نظام خاص لمن كانوا من خارج المدينة.

وكان تعليم القرآن شفويًا عامةً ولم تكن هناك مصاحف مكتوبة. ومن المعلوم أن العرب لم يكونوا يعرفون الكتابة إلا قليلاً. وبالرغم من ذلك كانت توجد سور من القرآن الكريم مكتوبةً بعد أن نزل الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولأجل ذلك نجد التاريخ يذكر الصحيفة التي كانت في بيت فاطمة بنت خطاب. وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه يعلم الطلاب الكتابة بجانب تعليمه إياهم القرآن الكريم. كما كُلِّف أسارى بدر يعرفون القراءة والكتابة بأن يعلّم كل منهم إثني عشر طفلاً من أطفال المدينة المنورة القراءة والكتابة. وهكذا شاعت الكتابة فيما بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. فكتبت مصاحف عديدة، كما كان هناك أصحاب يكتبون الأحاديث في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك لم يكن تعليم القرآن الكريم إلا شفويًا في معظم الأحوال. هذا ولم يكن يحفظ القرآن الكريم كله عن ظهر قلب من الصحابة إلا قليلاً، وكان عامتهم يحفظون سورًا عديدةً حسبما تدعو إليه الحاجة.

وكانت فتوحات كثيرة في عصور الصحابة وأتباعهم واتسعت مساحة الدولة الإسلامية، وجرت نشاطات التعليم والتعلم في بلدان أخرى ماعدا الجزيرة العربية. وكانت المدينة المنورة مركزًا للعلوم الدينية آنذاك أيضًا، حيث كان عدد

كبير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وبها كانت سوق العلوم الدينية رائجةً أكثر من غيرها من المدن. وكانت هناك مكة المكرمة مركزًا آخر. وفي ذلك العصر صارت الكوفة والبصرة من مدن العراق مراكز مهمة للعلوم الإسلامية. وكان يعيشهما عدد هائل من الصحابة والتابعين. وكانت الكوفة تفوق البصرة نشاطًا للعلم بفضل تواجد علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم. وكانت الكوفة تحتضن زهاء خمس مأة راو من التابعين. وتليها البصرة مركزًا للكتاب والسنة والتفقه في الدين التي كان يقيم بها زهاء مأتي راو من التابعين ماعدا الصحابة رضي الله عنهم. ثم كانت نوبة الشام ومصر التي شهدت نشاطات علمية مكثفة في عصر بني أمية، وكان كبار الصحابة والتابعين يعكفون على التعليم والتدريس. وكانت مخاليف اليمن وولاياتها تحتل مكانةً بارزةً آنذاك، وكانت مدن صنعاء، والجَنَد، والرمع، والزبيد مراكز كبيرة، وقام العزوة بن مسيك رضي الله عنه بخدمات عظيمة في نشر الإسلام والتعليم الديني. وكان وهب بن منبه، وهمام بن منبه، وطاؤوس بن كيسان، ومعمر بن راشد من التابعين مرجعًا يزدحم الناس عليهم للأخذ والتعلم.

وبما أن الجزء الشرقي من العالم الإسلامي مثل خراسان وغيرها يقلّ فيها الصحابة والتابعون شأن أفريقيا فكانت النشاطات العلمية والدينية في هذه المناطق قليلةً بالنسبة إلى الجزء الغربي من العالم الإسلامي.

وأولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنايةً خاصةً بالتعليم في عهد الصحابة، وعزم على جمع السنن والآثار غير أنه امتنع عن ذلك مخافة أن يشتغل المسلمون بها ويتركوا كتاب الله وراء ظهورهم. وكان من عنايته رضي الله عنه المتزايدة بالقرآن الكريم أن أرسل علماء الصحابة وقراءهم إلى الشام والكوفة والبصرة وغيرها من المدن يعلمون الناس أمور دينهم، وأنشأ كتاتيب لتعليم الأطفال، وأمر بكتابة القرآن الكريم، وأعد مصاحف كثيرة بعث بها إلى شتى المناطق الإسلامية. كما أعطى حفظة القرآن جوائز غالية.

وخلاصة القول في ذلك أن كل قرية ومدينة من قرى ومدن العالم الإسلامي أصبحت دورًا للعلم بفضل عنايته رضي الله عنه وأرضاه. ولأجل ذلك يحتل نشر العلوم الدينية مكانةً مرموقةً من بين ميزاته وخصائصه. ولما وُلي الإمارة عمر بن عبد العزيز ساهم مساهمةً فعالةً في هذا المجال، واهتم بجمع وتدوين السنن والأحاديث وتعليمها، وأخذ العالم الإسلامي بأسره في تدوين كتب الحديث والفقه بأمر منه رحمه الله، كما أرسل معلمين وقراء إلى شتى مدن إسلامية. وبفضل ذلك كله أصبحت المدن التالية مراكز كبيرة للعلوم الإسلامية حتى القرن الثاني الهجري: المدينة المنورة، ومكة المكرمة، والطائف، والكوفة، والبصرة، واليمن، والشام، ومصر، والعواصم، والجزيرة، وموصل، واليمامة، والبحرين، وواسط، والأنبار، والمدائن، وخراسان، والري، وقم. ذكر الخليفة بن خياط ومحمد بن سعد في طبقاتهما هذه المدن والأمصار وعلماءها وفقهاءها وعلماء الحديث بها والنشاطات العلمية بها.

وكانت قد كثرت في هذا العصر الرحلات العلمية، فكان تلامذته التابعين يسافرون إلى المدينة المنورة يأخذون الأحاديث عن شيوخ أساتذتهم: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً حرصًا على علو الإسناد. وكان التابعون وأتباعهم لهم شوق بالغ إلى هذه الرحلات في طلب العلم. وذلك لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ينتقلون إلى رحمته عامًا لعام، وكانت الدنيا تُحْرَم بركاتهم، وكان تلامذتهم ورثةً لعلومهم حملةً لمعارفهم، وكان أهل العلم يغتنمون التلمذ عليهم. ولأجل ذلك قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وهو يذكر التابعين "حتى لو كان أحدهم من وراء البحر لركبوا إليه يتفقهون منه"(١). هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري مامعناه: إن الناس يأتونك يتعلمون منك الدين فاستوجس بهم خيرًا. وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من قيام الناس برحلات علمية ودينية مئة في المئة. (يتبع)

(١) مصنف عبد الرزاق: ١١/ ٢٢٢.

نظرة عابرة على إنشاء المدارس ومراكز العلوم الإسلامية في بداية الأمر

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله

نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي*

قد ذكر العلامة المقريزي نقلاً عن الإمام أبي نُعَيم أن أول من اتخذ بيتًا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة المتوفى ٣٦ هـ من كبار التابعين بالبصرة، وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم دورًا وأسكنهم فيها، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه[١]. وكذلك بنى الخليفة أبو جعفر منصور العباسي بيتًا للحكمة للحكماء والفلاسفة، وجعل لهم الأرزاق وكل ما يحتاجون إليه.

وقد اتخذ عبد الحكيم بن عمرو بن صفوان وكان من فتيان "قريش" بيتًا لإخوانه، فيه كتب العلم، والشطرنجات، والنرد، والقرق[٢].

وكذلك لما أراد الخليفة المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق المتوفى (٢٨٩هـ) بناء قصره في "الشماسية" ببغداد، استزاد في الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريده ليبني فيه دورًا ومساكن ومقاصير، يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجري عليهم الأرزاق السنية، ليقصد كل من اختار علمًا أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه[٣]،

---

* أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

(1) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤/٢٨١،٢٨٢.

(2) جمهرة أنساب العرب: ١٦٠، ط: السادسة.

(3) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤/ ١٩٩، ذكر المدارس.

غير أن الفقهاء والمحدثين وأصحاب الرواية ما زالوا يعقدون حلقاتهم في المساجد آنذاك، فما بنوا لهذا مبنىً مستقلاً، وما التفت إليه خليفة ولا أمير. أللّهم إلا أن هناك أختين شقيقتين بنتا جوامع فاخرة عظيمة بالمغرب الأقصى، وأضافتا إليها حجرات وغرفًا لإسكان الطلبة. فوضعت فقيهة مدينة "فاس" أم المؤمنين: فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري حجر أساس "جامع القرويين" في غرة شهر رمضان المبارك عام ٢٤٥هـ، واشترت لهذا الفرض النبيل أرضًا واسعةً في حارة "هوارة" بالمدينة من طيب كسبها. وأمر بنحت الأحجار من أرضها فبنيت بها حجرات سكنية للطلبة متصلة بالجامع. ولايزال الدرس مستمرًا إلى يومنا هذا في جامع القرويين هذا، ويعد من أقدم الجامعات والمدارس في المغرب الأقصى. كما أسست أختها مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري "جامع الأندلس" في نفس السنة بمدينة "فاس" وبنتْ بجوانبه حجرات لإسكان الطلبة. وكان قد سبق أن أسكن الملك إدريس بن إدريس سلطان فاس جماعةً من مسلمي الأندلس المرحومة في الجناح الشرقي من مدينة فاس، فقامت الفاضلة مريم بنت محمد ببناء مسجد في هذا الجناح، وسمته بجامع الأندلس [١].

ثم جاء تأسيس "الجامع الأزهر" بالقاهرة بمصر عام ٣٦١هـ، وبنيت فيه أروقة للطلاب، ومن المعلوم أن الحجرات السكنية للطلاب بنيت مجاورة للمساجد، غير أن التدريس لم يزل بها. إلا أن هناك ليست وثيقة تدل على أن الطلاب كانوا يتحملون نفقات الطعام والشراب والحاجيات الأخرى بأنفسهم، أم كان لهم نظام مستقل لذلك كله؟ كانت تقام حلقات الدرس والإفادة في المساجد حتى القرن الثالث والرابع الهجري في كل من بغداد والقاهرة والمدن الإسلامية الكبيرة الأخرى، فكان الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣هـ) يجعل حلقة درسه بجامع المنصور بمدينة السلام بغداد، ولم يزل يدرس إبراهيم بن نفطويه أحد الأعلام البارزين من أتباع المذهب المراودي

---

(١) حاضر العالم الإسلامي.

(المتوفى ٣٢٣هـ) عند أسطوانة من أسطوانات جامع المنصور طيلة خمسين عامًا، ولم يغير مكانه. كما كان الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد الإسفرائيني من كبار علماء المذهب الشافعي (المتوفى ٤٠٦هـ) يدرس في مسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، وكان يحضر درسه من الفقهاء والعلماء الذين يتراوح عددهم فيما بين ثلاث مئة وسبع مئة. ويقول العلامة المقدسي البشاري: كانت تقام مأة وعشر حلقات درس عقيب صلاة العشاء بالجامع الأزهر.

وقد بقيت أهمية المساجد كما كانت في خصوص التعليم الديني بعد أن بنيت مدارس مستقلة، فإن التدريس بها كان ينفع عامة المسلمين علمًا ودينًا بالإضافة إلى أنه يوافق السنة. فيقول العلامة ابن الحاج في كتابه "المدخل": أخذ الدرس في المسجد أفضل لأجل كثرة الانتفاع بالعلم لمن قصده ومن لم يقصده بخلاف المدرسة، فإنه لا يأتي إليها إلا من قصد العلم والاستفتاء، فأخذه في المدرسة أقل رتبة في الانتشار منه في المسجد[1].

ولأجل ذلك نرى أن سلسلة الدرس لم تزل جارية في المساجد حتى بعد إنشاء المدارس المستقلة ولاتزال إلى يومنا هذا، وأما بداية المدارس الدينية الراهنة فيقول عنها العلامة المؤرخ المقريزي: إن المدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربع مأة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى في الإسلام أهل نيسافور، فبنيت المدرسة البيهقية[2].

ولكنني أرى أن المدارس لم تأت بدايتها بعد نهاية القرن الرابع الهجري، وإنما يرجع تاريخ بنائها إلى القرن الرابع نفسه حيث بنى فقهاء الشافعية وعلماؤها المدارس بمدينة نيسابور، والمعروف على ألسنة الناس أن نظام الملك الطوسي (المتوفى ٤٨٥هـ) هو أول من بنى المدارس، غير أن الإمام تاج الدين السبكي صرح أن هناك مدارس قد بنيت قبل أن يولد نظام الملك، "فكانت بمدينة نيسابور أربع مدارس منها المدرسة

(1) المدخل: ٢/ ٢٠٢.

(2) كتاب الخطط والآثار: ٢/ ٣٦٢.

البيهقية، والمدرسة السعدية التي بناها الأمير نصر بن سبكتغين: أخو السلطان محمود الغزنوي لما كان واليًا بنيسابور، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن علي المثنى الإسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضًا بنيت للأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني.

وقد قال الحاكم في ترجمة الأستاذ: لم يُبْنَ بنيسابور قبلها- مدرسة الأستاذ- مثلها. وقال السبكي: وقد أدرت فكري فغلب على ظني أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة، فإنه لم يتضح لي هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أم لا؟ والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم[١].

وكانت بنيسابور آنذاك مدارس بناها علماء وفقهاء الشافعية ما عدا هذه المدارس الأربع المذكورة فيما أعلاه. فكان القاضي أبوبكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي (المتوفى ٣٦١هـ) يدرس في مدرسة أبي حفص الفقيه[٢]. وكان الفقيه أبو الحسن محمد بن شعيب البيهقي (المتوفى ٣٢٤هـ) مدرسًا بمدرسة الشوافع بنيسابور[٣]. وكان الفقيه أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن بويه الزرّاد يدرس بمدرسة مرسست بقرية "بلج ده" التابعة لمرو الروز[٤]. على حين كان الإمام أبوالمظفر المنصور بن محمد السمعاني يدرس بمدرسة أصحاب الشافعي بمرو بعد أن رجع عن مذهب أبي حنيفة وقلد الشافعي رحمهما الله[٥]. وكان الفقيه أبو المعالي شبيب بن عثمان الرجّي يدرس بالمدرسة الناجية ببغداد التي بناها مرزبان بن خسرو وزير

([1]) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٦و٧. الطبقة الرابعة: الحسن بن إسحاق بن العباس الطوسي، الوزير الكبير، الملقب بنظام الملك.

([2]) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٧٨.

([3]) الأنساب للسمعاني: ١/ ٤٣٩، البيهقي.

([4]) طبقات أسد الغابة: ٣/ ٢٠٤.

([5]) طبقات الشافعية: ٥/٣٤٤.

السلطان شاه السلجوقي. كما كانت للأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الملقب زين الإسلام النيسابوري مدرسة أهلية لأسرته تُدفن بها علماء أسرته.

فظهر أن العلماء والفقهاء بنوا المدارس بمدينة نيسابور وغيرها من مدن أخرى قبل أن يبنيها نظام الملك الطوسي، التي قد أشير إليها من قبل، نعم إن الطوسي الوزير قد بنى المدارس إبان تولية منصب الوزارة في كل مدينة كبيرة من مدن العالم الإسلامي الشرقي، وأجرى المعاليم والأرزاق للطلبة، ووفر لهم تسهيلات الطعام والرواق. وقد ذكر العلامة زكريا بن محمد القزويني قصةً طريفةً عن بداية سلسة المدارس هذه فقال: "حكي أن السلطان ألب أرسلان دخل مدينة نيسابور فاجتاز على باب مسجد، فرأى جمعًا من الفقهاء على باب ذلك المسجد في ثياب رثة لا خدموا السلطان ولا دعوا له. فسأل السلطان نظامَ الملك عنهم فقال: هؤلاء طلبة العلم وهم أشراف الناس نفسًا لا حظّ لهم من الدنيا، ويشهد زيّهم على فقرهم. فأحسّ بأن قلب السلطان لان لهم فعند ذلك قال: لو أذن السلطان بنيتُ لهم موضعًا وأجريتُ لهم رزقًا ليشتغلوا بطلب العلم والدعاء لدولة السلطان، فأمر نظام الملك ببناء المدارس في جميع مملكة السلطان، وأن يُصرف عشرُ مال السلطان المختص بالوزير في بناء المدارس، وهو أول من سنّ هذه السنة الحسنة [1]".

ولما رجع عن نسيابور بنى نظام الملك مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهرات، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بأهل طبرستان، ومدرسة بالموصل. وعرفت هذه المدارس كلها بالمدرسة النظامية، وبدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد في ذي الحجة من سنة سبع وخمسين وأربع مأة، وفتحت يوم السبت من سنة تسع وتسعين وأربع مأة. وكان نظام الملك أمر أن يكون المدرس بها أبا إسحاق الشيرازي، وقرروا معه الحضور في هذا اليوم للتدريس، فاجتمع الناس ولم يحضر، وطُلب فلم يوجد، فنفذ إلى أبي نصر ابن الصباغ فأُحضير

(١) آثار البلاد وأخبار العباد: ٤١٣.

ورُتب مدرسًا، وظهر الشيخ أبو إسحاق في مسجده. ولحق أصحابه من ذلك ما بان عليهم، وفتروا عن حضور درسه، وراسلوه إن لم يدرس بها مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه، فأجاب إلى ذلك، وعُزل ابن الصباغ، وجلس أبو إسحاق يوم السبت مستهل ذي الحجة، وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يومًا، ولم يزل بها إلى أن مات. ولما توفي جلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية، ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولي مكانه، ولما بلغ الخبر نظام الملك كتب بإنكار ذلك وقال: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله، وأمر أن يدرس الشيخ أبونصر عبد السيد بن الصباغ في مكانه[1].

ثم تبعه السلاطين والوزراء والأمراء في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي، وبنوا المساجد والمدارس والزوايا، وجلبوا لها العلماء والفقهاء والمحدثين ومشايخ الصوفية، وأجروا لهم الأرزاق، وكان كل منهم يسعى أن يحرز قصب السبق على غيره في هذا. على حين كان يبكي على ذلك كله جماعة من رجال العلم والدين المخلصين ويأخذها الأسف على أن العلم وأصحابه صاروا رهن إحسان الملوم والسلاطين، وأنه قد أظل عليهم رجال الدنيا، ولكنه مما لايشوبه شك أن حركة إنشاء المدارس وتوفير التسهيلات للطلبة والعلماء أثمرت ثمارًا طيبةً، وأتت بانقلاب عظيم في مجال التعليم والتعلم، وأدخلت علوم وفنون عصرية دنياوية في المنهاج الدراسي الديني حسبما اقتضته الحاجة، وانقطع الطلاب والعلماء إلى الأخذ والإفادة لايحزنهم كسب الرزق. وفي الزمن الذي كان العلماء والفقهاء منقطعين إلى التعليم والتدريس في داخل رحاب المدارس خرج فيه المحدثون من المساجد إلى الميادين والأمكنة الشعبية يعقدون مجالس لإملاء الأحاديث. وكان آلاف مؤلفة من طلبة الحديث النبوي يزدحمون عليهم يسمعون الأحاديث ويكتبونها، وكان يجتمع عند محدث عديد من المستملين الذين يبلغون كل ما يسمعون عن المحدث إلى أقصى الجمع الحاشد. (يتبع)

[1] وفيات الأعيان: ١/ ٢٢ و ٢٣، أبو إسحاق الشيرازي. و٢/ ١٠٤، ابن الصباغ صاحب الشامل.

المظاهر

مجلة إسلامية عربية

تصـــدر كل شهــرين

السنة الثالثة

العدد الرابع

رجب - شعبان ١٤٣٢هـ

يوليو - أغسطس ٢٠١١م

الاشتراكات

ثمن النسخة: ٢٠ روبية هندية

الاشتراك السنوي داخل الهند: ١٠٠ روبية هندية خارج الهند: ٥٠ دولارا

المراسلات

مـدير تـحرير مجـلة [المظـاهـر]

الجامعة الإسلامية مظاهر علوم، سهارنفور، يوفي، الهند ٢٤٧٠٠١

Mazahir uloom, Saharanpur, U.P. India

الهاتف: ٢٦٥٥٥٤٢ - ٠١٣٢، الفاكس: ٢٦٥٩٩١٢ - ٠١٣٢

البريد الإلكتروني: Email- arabimajallah@gmail.com





مجلة عربية دينية

تصدر كل شهرين

السنة الثالثة

العدد الخامس

رمضان – شوال ١٤٣٢ھ

سبتمبر – أكتوبر ٢٠١١م

الاشتراكات

الاشتراك السنوي ————

ثمن النسخة: ٢٠ روبية هندية — داخل الهند ١٠٠ روبية هندية خارج الهند: ٥٠ دولارا

المراسلات: مدير تحرير مجلة "المظاهر"

الجامعة الإسلامية مظاهر علوم سهارنفور (يوبي)

MAZAHIR ULOOM SAHARANPUR, U.P. INDIA

الهاتف: ٢٤٥٥٥٤٢ – ٠١٣٢ ، الفاكس: ٢٦٥٩٩١٢ – ٠١٣٢

البريد الالكتروني: Email:arabimajallah@gmail.com